ABES13

**(30) ضوابط الدعاء الذي لا يرد**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ الله  أمرَ عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة في آيٍ كثيرةٍ من كتابه ؛ قال الله : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر:60] ، وقال : { إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}[إبراهيم:39]، وقال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة:186]، وقال : ( ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف:55-56]، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وهو يُحِبُّ مِنْ عبادِه أن يسألوه، بل كُلَّما عَظُمَتْ عِنايةُ العبدِ بالدُّعاء عَظُمَ حَظُّهُ ونَصِيبُهُ مِنْ محبةِ الله له، حتى قال النبي ح: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ على اللهِ تعالى منَ الدُّعَاءِ))، وقال ح: ((إِنَّه مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ)).

وقد دلَّت نصوصٌ عديدة في كتاب الله وسنة رسول الله ح أن الدعاء المستجاب له ضوابط ينبغي للداعي أن يحرص عليها عند دعائه، وكذلك ثمة موانع عليه أن يَحْذَرَ منها لئلا يُردَّ دُعاؤُه.

وقد جمع العلامةُ الإمام ابنُ القيم رحمه الله خُلاصَةً بديعةً حَوَتْ خيرًا عظيمًا، بيَّنَ فيها رحمه الله أهمَّ ما ينبغي أن يعتنيَ به الداعون في دعائهم ليكون مستجابًا، ثمَّ ختمَ كلامَهُ بعد سردِهِ لتلك الضوابط بقوله: «فإنَّ هذا الدعاء لا يكاد يردُّ أبدا».

قال رحمه الله: «وإِذا جَمَعَ مع الدُّعاءِ حُضُورَ القلبِ وَجَمْعِيَّـتَـهُ بِكُلِّـيَّـتِهِ على المطلُوبِ، وصادَفَ وقتًا مِنْ أَوقاتِ الإِجابةِ السِّتَّةِ، وهي: الثُّـلُثُ الأخيرُ منَ اللَّيلِ، وعندَ الأذانِ، وبين الأذانِ والإِقامةِ، وأَدْبارُ الصَّلَواتِ المكتوباتِ، وعند صُعُودِ الإِمامِ يومَ الجُمُعَةِ على المِنْـبَرِ حَتَّى تُقْضى الصَّلاةُ مِنْ ذلكَ اليومِ، وآخِرُ ساعَةٍ بعدَ العَصْرِ، وصادَفَ خُشوعًا في القَلْبِ، وانكِسارًا بينَ يَدَيِ الرَّبِّ، وذُلًّا لَهُ، وتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً، واستَقْبَـلَ الدَّاعِي الْقِبلَةَ، وكانَ على طَهارَةٍ، ورَفَعَ يدَيْـهِ إِلى اللَّهِ، وبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ والثَّناءِ عليـهِ، ثُمَّ ثَنـَّى بِالصَّلاةِ على مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ح. ثُمَّ قَدَّمَ بينَ يَدَيْ حاجَـتِـهِ التَّوبَـةَ والاسْتِغفارَ، ثُمَّ دخلَ على اللَّهِ وأَلَحَّ عليهِ في المسأَلَةِ، وتَمَلَّقَهُ، ودعاهُ رغْبةً وَرَهْبةً، وتَوَسَّلَ إليهِ بِأَسمائِهِ وصفاتِهِ وتوحيدِهِ. وَقَدَّمَ بينَ يَدَيْ دُعائِهِ صدَقَةً؛ فإِنَّ هذا الدُّعاءَ لا يكادُ يُـرَدُّ أَبدًا. ولا سيَّما إِن صادَفَ الأدعِيَـةَ التي أَخْبَـرَ النَّبِيُّ ح أنَّها مَظَـنَّـةُ الإِجابَـةِ، أو أَنَّها مُتَضَمِّنَـةٌ للاسْمِ الأعظَمِ». وقد تقدم جملة منها في هذا البرنامج.

* **فالأمرُ الأوَّلُ**: أن يدعُوَ المسلمُ بقلبٍ حاضِرٍ، وحضور القلب: هو إقبالُهُ على الله سبحانه، فلا يكونُ دُعاؤُه مجرَّدَ حركاتٍ للِّسان وقلبُهُ غافِـلٌ، بل يحرك لسانه بالدعاء مع حضور القلب، ولهذا قال النبيُّ ح: ((ادْعُوا اللَّهَ وأَنتُمْ مُوقِنونَ بِالإِجابةِ، واعْلَموا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ لاهٍ)).

ومن علامات عدم حضور القلب في الدعاء: كثرة الانشغال والحركة وقتَ الدعاء؛ فتَجِدُ لسانَهُ يتحرَّك بالدعاء، ويدُهُ تعبَثُ بالأرض أو بالثَّوب أو بالجوال أو غير ذلك، أو تجدُهُ يلتفتُ ببصرِهِ يمينًا وشِمالًا وقت دعائه، وهذا كلُّه لأنَّ القلبَ لم يجتمع وقتَ الدعاء؛ لذا لما رأى عمر بن عبد العزيز رخمه الله رجلًا يدعو اللهَ وبيدِهِ حصىً يلعَبُ بها قال له : «ألا ألقيتَ الحَصَاةَ، وأَخْلَصْتَ إلى الله الدُّعاءَ؟!».

* **الأمر الثاني:** تحرِّي أوقات الإجابة، وقد عدَّد منها الإمام ابن القيِّم ستةَ مواضع:

-الأول : «الثلث الأخير من الليل»؛ ويعتبـرُ هذا الوقت مِن أَحْرى أوقات إجابة الدعاء وأَعْظَمِها شأنًا، لِمَا ثبتَ في «الصحيحين» عن النبي ح أنه قال: «يَـنْزِلُ ربُّنا كُلَّ لَيلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حِينَ يَبـقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ فيقولُ: مَنْ يَدْعوني فأَسْتَجيبَ لَهُ ، ومَنْ يسألُني فأعطِـيَـهُ، ومَنْ يستغْفِرُني فأَغْفِرَ لَهُ».

-الثاني: «عند الأذان»؛ أي: بعدَ الأذان مباشرة، فإنَّ هذا وقتٌ عظيمٌ في تحري الدعاء، لما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رَجُلًا قال للنبيِّ ح: «يا رَسولَ اللَّهِ إِنَّ المُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُوننا» أي: سَبَـقُونا بالفَضْلِ، فقال النبيُّ ح: ((قُلْ كما يقولونَ فإِذا انْـتهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَه)).

-الثالث: «بين الأذان والإقامة»؛ وقد ورد في فضل الدعاء بين الأذان والإقامة مُطلقًا عِدَّة نصوص، منها قول النَّبـيِّ ح أنه قـال: ((الدُّعاءُ لا يُـرَدُّ بينَ الأذانِ والإِقامةِ))، وقال النبيُّ ح: ((إذا نُودِيَ بالصَّلاةِ فُتِحتْ أبوابُ السَّماءِ واسْتُجِيبَ الدُّعاءُ)).

-الرابع «أدبار الصلوات المكتوبة»؛ أي قبل السَّلام، فإنَّ هذا الوقتَ فاضلٌ، وحَرِيٌ بأن يُجابَ دُعاءُ الدَّاعي فيه؛ كما جاء في حديث ابن مسعود في تعليم النبيَّ ح للتشهُّدِ، قال في آخره: ((ثُمَّ يَـتَخَيَّـرُ منَ الدُّعاءِ أَعْجَبَـهُ إليه، فـيَدْعُو)).

-الخامس: «عند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة»؛ وذلك لما صحَّ عن النبيِّ ح أنه قال: ((إنَّ في الجُمعةِ لساعةً، لا يوافقها مسلمٌ قائِمٌ يُصَلِّي، يسأَلُ الله خيرًا، إلا أعطاهُ إياه)) وقال بيده: يُـقَلِّلُها.

وقد ذهبَ جماعةٌ من العلماء بأنَّ هذه الساعة: من صعود الإمام للمنبر إلى أن ينتهي من صلاة الجمعة، وذلك لِما أخرجَهُ الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه» عن أبي موسى الأشعريِّ س: ((هي ما بين أن يَجْلِسَ الإِمامُ إلى أن تُـقْضى الصَلاةُ)).

-السادس: «آخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم»؛ أي: الساعة الأخيرة بعد العصر إلى أن تغرُبَ الشمسُ من يوم الجمعة، فقد صحَّ عن النبيِّ ح أنه قال: ((يوْمُ الجُمُعةِ ثِنتا عَشْرَةَ ساعةً، لا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يسأَلُ اللَّهَ شيئًا إِلا أتاهُ اللَّهُ ، فالْـتَمِسوها آخِرَ ساعةٍ بعد العَصْرِ)).

قال ابن القيم رحمه الله: «وعندي أن ساعة الصلاة ساعةٌ ترجى فيها الإجابة أيضا ، فكلاهما ساعة إجابة وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعةٌ للصلاة تقدمت أو تأخرت، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة ، وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها ويكون النبي قد حض أمته على الدعاء والابتهال إلى الله تعالى في هاتين الساعتين».

* **الأمر الثالث**: «خشوعُ القلب وانكسارُهُ بين يدي ربِّه تذللًا وتضرُّعًا»؛ قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف:55] ، قال الطبريُّ رحمه الله في «تفسيره»: «( تَضَرُّعًا) أي: تَـذَلُّلًا واسْتِكانةً لطاعته، و(وَخُفْيَةً) أي: بخشوع قلوبكم».
* **الأمر الرابع**: «استقبال القبلة وقتَ الدُّعاء»؛ وذلك أنَّ استقبال الداعي للقبلة من الأسباب التي يُـرْجَى معها أن يُسْتَجابَ دُعاؤه، وليس من شروط الدعاء.
* **الأمر الخامس**: «الطهارة عند الدعاء»؛ والداعي إذا كان على طهارة فإنَّهُ أفضلُ وأتم لدعائه ومناجاته لله ، لأنَّ حالةَ الوضوء مُطلقًا أكملُ من حال الحَدَث.
* **الأمر السادس**: «رفع اليدين عند الدعاء»؛ فعن سلمان الفارسي س أنَّ النبيَّ ح قال: ((إِنَّ ربَّكم حَيِيٌّ كرِيمٌ، يَسْتحِيِي مِن عبدِهِ إذا رفَعَ يَـدَيهِ إِلَيهِ أَنْ يرُدَّهُما صِفْرًا)).
* **الأمر السابع**: «البداءةُ بحمد الله وتمجيده ثمَّ الصلاة على نبيِّه محمَّد قبل الدعاء»؛ فَعَنْ فضالة بن عبيد س قال : سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ح رَجُلاً يدعُو في صلاتِهِ لم يُمَجِّدِ اللَّهَ تعالى، ولمْ يُصَلِّ على النَّبِيِّ ح، فقال النبيُّ ح: ((عَجِلَ هَذَا))، ثُمَّ دَعَاهُ فقالَ لَهُ: ((إذا صلَّى أَحَدُكُمْ فلـيَـبْدَأْ بِتَحْميدِ رَبِّهِ جلَّ وعزَّ وَالثَّنَاءِ عليـهِ، ثُمَّ يُصَلِّي على النَّبِيِّ ح، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِما شاءَ)).
* **الأمر الثامن**: «التوبةُ والاستغفار بين يدي الدعاء»؛ فإنَّ الذنوبَ من الموانع والحواجز المؤثِّرة على إجابة الدعاء، كما صحَّ عن النبيِّ ح أنه: « ذكرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أشعثَ أَغْبـرَ، يَمُدُّ يديه إلى السماء؛ «يا رَبِّ، يا رَبِّ»، ومَطْعَمُهُ حرامٌ، ومَشْرَبُه حرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلك؟!».
* **الأمر التاسع**: «الإلحاح في الدعاء وعدم استعجال الإجابة»؛ فعن أبي هريرة س قال: قال النبيِّ ح: ((يُسْتَجابُ لأحَدِكُم ما لم يَعْجَل، يقول: قد دَعَوْتُ ربِّي فلم يُسْتَجِبْ لي)).
* **الأمر العاشر**: «أن يجمعَ في دُعائه بين الرَّغبة والرَّهبة»؛ قال الله في وصف النَّـبِـيِّـيـن عليهم الصلاة والسلام: ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء:90].
* **الأمر الحادي عشر**: «التوسُّل لله بأَسْمائِهِ وصفاتِهِ وتوحيدِهِ»؛ فهذا يعدٌّ من أعظم الوسائل في إجابة الدعاء، وقد أمر الله به في قوله سبحانه: ( وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف:180].
* **الأمر الثاني عشر**: «التَّصَدُّقُ بين يدي الدُّعاء»؛ والصّدقة لها شأنٌ عظيم ، وقد صح عن النَّبيِّ ح أنه قال: ((صَدَقَةُ السِّـرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ))، ولا شكَّ أنَّ السلامة من غضبِ الرب على العبد سببٌ لإجابة دعائه، وإعطائه سُؤْله.
* **الأمر الثالث عشر**: «تحرِّي الأدعية التي أخبر النبيُّ ح أنَّ الدعاء معها مستجاب»؛ فإذا تحرَّى المسلم هذه الدعوات المأثورة -وقد تقدم في هذا البرنامج طائفة منها- ودعا بها بصِدْقٍ وإقبالٍ وإلحاحٍ على الله، مع استحضار جميع الأمور السابقة، فإنَّ دعاءَهُ لا يكادُ يُردُّ أبدًا، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله: «فإنَّ هذا الدعاءَ لا يكادُ يُرَدُّ أبدًا».

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يتقبل منا ، وأن يتجاوز عنا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.